# محاضرات المحور الأول : مدخل لإبستمولوجيا علوم الإعلام والإتصال

## المحاضرة (01): تاريخ المعرفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية

## المحاضرة (02): مفهوم الابستيمولوجيا والمفاهيم المشابهة

## المحاضرة (03): أهمية الابستيمولوجيا في علوم الإعلام والاتصال

**تمهيد :**

البحث في تاريخ العلوم الإنسانية يحيل إلى البحث في الإنسان في حد ذاته ، مما يثير الجدل حول التحقيب لهذه العلوم التي يعتبر الإنسان موضوعا لها . وترى بعض البحوث والدراسات أن ميلاد العلوم الإنسانية في العصر الحديث ، يعتبر فتحا علميا وتحولا ثوريا في النسق المعرفي . وبالتالي تحقق تجاوز الجدل حول الإنسان كموضوع للمعرفة العلمية لتساهم هذه العلوم الإنسانية في تعميق الفهم للحقول العلمية الأخرى الطبيعية والرياضية ، للفهم الشامل للظاهرة الإنسانية المعقدة ، من مختلف جوانبها وأبعادها

سنقوم من خلال هذه المحاضرة التمهيدية، قبل استعراض تاريخ المعرفة والعلوم الإنسانية والإجتماعية ببعث الأسئلة الأساسية القاعدية والمرجعية ، التي ترتكز عليها الإبستمولوجيا ، وتأسست عليها قواعدها وأسسها ومناهجها وأدواتها : فما هو العلم وما هي أسسه وقواعده ؟ وما هي المعرفة العلمية وما هي مرتكزاتها وأسسها ؟ وما هي شروط تحققها وكيف يمكن تحققها ؟ وما هي حدودها ؟ وما هو الفرق بين المعرفة العلمية والمعرفة العامية؟

**أولا -العلم والمعرفة العلمية :**

**1-ما هو العلم:**

-تحيل الدلالة اللغوية للعلم ، إلى إدراك حقيقة الأشياء والأفكار ، وتعني الشعور و/ أو التصديق أو المعرفة بالشيئ أو الفكرة . فيقال علم الشيئ علما ، أي أدركه وعرفه .

أما اصطلاحا ، فقد تعددت التعاريف التي صيغت عن العلم ، وتنوعت جهود العلماء في تحديد تعاريف للعلم بتنوع قيم العلم وأهدافه ، وقد تمحورت مختلف التعاريف على اعتبار العلم مجموع المعارف الإنسانية التي تشكلت وتطورت عبر مختلف الحضارات لخدمة الإنسان وتحقيق التقدم للمجتمعات الإنسانية.

يعني العلم الدراسة التأملية للعالم المادي والطبيعي ولعالم الأفكار، من خلال التجارب والملاحظات.. وبناء فرضيات علمية يمكن التحقق منها ، من خلال سيرورة البحث العلمي.

ويعرف العلم أنه : شبكة من الملاحظات المنتظمة للأحداث والظواهر والظروف من أجل اكتشاف الحقائق ، ووضع النظريات التي تفسرها والقواعد القانونية التي تؤطرها ، بناء على المعلومات والبيانات التي يتم جمعها ، لذا فإن العلم يمثل البنية المادية المنظمة للمعرفة المشتقة من الملاحظات... (موضوع...)

-العلم جهود إنسانية تهدف إلى معرفة نظام اشتغال العالم حوله وفهمه فيهما صحيحا ، يمكن الإنسان من تطويع هذا العالم ليعيش حياة سليمة ويحقق البناء السليم للمجتمع الإنساني.

-العلم نظام مركب من المعارف والخبرات والمبتكرات الفنية والتقنية ، التي توصل إليها الإنسان عبر مختلف الحضارات والأزمان ، لفهم نظام الكون وتطويعه لفهم وتطوير وتحسين حياة الإنسان

-العلم هو نظام أو نسق متكامل من المعارف والخبرات والمهارات والمبتكرات الإنسانية ، التي تمكن الانسان من الفهم الصحيح للعوالم أو الظواهر الكلية و/أو الجزئية من حوله في الحاضر ، وتقدير أو التنبؤ بآفاق تلك العوالم أو الظواهر المستقبلية.

العلم هو قدرة الإنسان العالم، على الربط السليم والمنطقي بين الظواهر ومسبباتها، والفهم الصحيح لنتائجها ، وفهم النظام الذي ينظم العالم الخارجي كما ندركه عن طريق الحواس والعقل والمخيلة فنتأثر به ونؤثر فيه (بركات عبد العزيز ، ص26)

**2-أسس وخصائص العلم :**

-التطور المستمر والمتسارع في عصر ثورات الاتصال والاتصال والتحولات الرقمية الثورية.

-التقدم الثوري والتحول من المعارف البسيطة إلى المعارف المركبة والشديدة التعقيد

-العلم يتقدم بتحقيق التكامل بين المقاربتين التراكمية (داروين ) والثورية القطيعية (كوهين)

- الدقة في النتائج والشمول من حيث تطبيق النتائج ، أي انعكاسات العلم على الإنسان

-القابلية للقياس والتحقق ...

-التأثر بالطبيعة والإنسان والمجتمع والتأثير في الطبيعة والإنسان والمجتمع

**2-ما هي المعرفة العلمية :**

هي بناء منظم من الأفكار والتصورات يبدأ من الواقع وينتهي إلى تفسيره ، وأن العالم هو بالأساس إنسان يسلك طريقا خالصا للحصول على هذه المعرفة ، مستندا إلى مجموعة قواعد عامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة ، وهذه القواعد هي ما يعرف بالمنهج العلمي. أي تحصيل المعرفة العلمية عن طريق مناهج البحث العلمي. **حسني إبراهيم عبد العظيم ، موقع بو ابتي.**

يعرف عالم الأحياء هيكسلي : أن المعرفة العلمية هي ذلك النشاط الذي نكتسب من خلاله أكبر قدر من معرفتنا عن الظواهر ، ونمارس بواسطته الضبط والتحكم في العالم الطبيعي. **مفهوم المعرفة العلمية ومكوناتها ، موقع بو ابتي**

المعرفة العلمية هي مجمل ما يحصل عليه الفرد من حقائق ومعلومات وأفكار من خلال دراساته النظرية والتطبيقية المستمرة ، هذه الحقائق تكون مفهومة ومستوعبة لدى الفرد وقابلة للتطبيق في مجالاتها المحددة وذلك من خلال استخدام خبرته"

**1-مكونات المعرفة العلمية :**

يرى العلماء أن المعرفة العلمية تتكون من جانبين أو مكونين أساسيين متكاملين : **الجانب الحسي المجسد كونكريت ، والجانب العقلي المجرد أبستركتد**

**يعرف قاموس أكسفورد المعرفة العلمية :** هي الخبرة والمهارة المكتسبة عن طريق التجربة والتعلم والاستيعاب العلمي والنظري لمجال معين.

**2-خصائص المعرفة العلمية:**

للمعرفة العلمية خصائص متعددة ومتنوعة ومتجددة ، وهي تتولد وتتجدد باستمرار ، من أهمها الموضوعية ، التحقق ، الحياد الأخلاقي ، الاستكشاف المنهجي، الدقة ، التجريبية ، الواقعية ، التقدير أو القدرة على التنبؤ ، القابلية للتكذيب ...

كما يمكن إضافة خصائص أخرى منها :

-المعرفة العلمية عقلانية تتطلب الجرأة العقلية

-النسبية ، فما نعرفه يعد قليل بالنسبة لما لا نعرفه

-المعرفة إنسانية تتم في سياق تعاوني لخدمة الإنسان

-لكل معرفة سياقها وظروف إنتاجها وسياقها الفسلفي وإطارها النظري المختلف

-الحجج والبراهين في إثبات والتحقق من الفروض

**3-مصادر المعرفة العلمية :**

تتعدد مصادر المعرفة العلمية ، وهي تتراوح بين ، الإلهام والحدس ، الوحي ، الإجماع ، العقل ، الحس ...

كما يمكن أن تكون مصدرها مختلف الحقول العلمية ، العلوم الاجتماعية العلوم التجريبية ، العلوم الإنسانية ...

**ثانيا -ميلاد وتطور العلوم الإنسانية :**

**1-نشأة وتطور العلوم الإنسانية والإجتماعية**

العلوم الإنسانية مثلها مثل العلوم الأخرى مرت بمرحلتين أساسيتين : المرحلة الفلسفية التأملية، والمرحلة الوضعية العلمية التجريبية. لكن هناك من يرى أنه يمكن إضافة المرحلة الثالثة ، وهي الفهم والتأويل والتجاسر المنهجي والتحاقل المعرفي مع العلوم المختلفة.

تمكنت العلوم الإنسانية من إثبات وجودها كموضوع للعلم ، ولو جاء ذلك متأخرا في العصر الحديث ، بالرغم من الانتقادات والاعتراضات عليها ، من طرف العلماء والإبستمولوجيين ، موضوعا ومنهجا قياسا بالنموذج العلمي والمنهجي في العلوم الطبيعية.

واستطاعت العلوم الإنسانية بفلاسفتها ومفكريها وعلمائها ، أن تؤسس لذاتها مفاهيم خاصة ومناهج نوعية ، بما يناسب مواضيعها ، وحقلها المعرفي ، متجاوزة ولو بشكل نسبي إشكالاتها وعوائقها الإبستمولوجية. **خيرة عبد العزيز** ، العلوم الإنسانية وإشكالات النشأة من الفلسفة إلى العلم ، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع ، مج7 ، ع3. 2022. ص27.

لا تزال العلوم الإنسانية تحقق التقدم ، وتنزع نحو الدقة العلمية ، تأسيا بالعلوم الطبيعية والتجريبية ، ولا يزال الباحثين والأكاديميين في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، يجتهدون لتجاوز العقبات الإبستمولوجية ، وإيجاد الإجابات المقنعة للكثير من الإشكاليات والهواجس المعرفية.

وتحقيق الفهم الأعمق للظواهر الإنسانية والإجتماعية ، ونتج عن هذه الجهود إنتاج معرفة علمية ، وبناء نظريات علمية وتطوير مناهج مستقلة أو تطويع مناهج العلوم الأخرى ، واستعارة أدواتها للارتقاء بالمعرفة العلمية في حقل العلوم الإنسانية والإجتماعية.

**2-مشكلات العلوم الإنسانية والإجتماعية**

تشير البحوث والدراسات العلمية المختلفة ، إلى أن العلوم الإنسانية والإجتماعية ، واجهت منذ ميلادها مشكلات وعقبات معرفية مختلفة ، منها ما يرتبط بتعقيدات المواضيع البحثية التي تعالجها ، ومنها ما يرتبط بذات الباحث ، ومنها ما يرتبط بالمناهج والمقاربات العلمية المختلفة ، سواء من حيث تطويعها من العلوم الأخرى ، أو من حيث إبتكار وتطوير مناهج وإنتاج أطر نظرية تفسيرية ، تواكب التحولات الديناميكية للظواهر الإنسانية والإجتماعية.

وفيما يلي أبرز المشكلات البحثية والعقبات المعرفية ، التي تواجه العلوم الإنسانية والإجتماعية:

-أزمة الدقة وصعوبة القياس

-التعقيد ومأزق التعميم

-الأدلجة الدينية والسياسية

-مأزق المقارنة : فالعلوم الإنسانية لا يمكن مقارنتها بالعلوم الطبيعية ، وفي ضوئها تطرح أسئلة علمية العلوم الإنسانية

-صعوبة الفهم والتعميم والتنبؤ : فالعلوم الإنسانية ذات تركيبة معقدة ، طبيعة الانسان معقدة مما يصعب من عملية التعميم والتنبؤ بالسوك الفردي والجماعي.

-تفرد وتميز موضوع العلوم الإنسانية من علم لآخر ، فعلم النفس يختلف عن علم الاجتماع ، وعلم الإجتماع يختلف عن علوم الإعلام والإتصال....إلخ. عكس تشابه وتجانس الأجسام في الطبيعة.

-الإنسان هو الباحث الدارس وموضوع الدرس: مما يطرح إشكالية الموضوعية والحياد والأخلاقيات العلمية في البحث..ففصل ذات الباحث عن موضوع البحث يصبح أمر صعب. فالإنسان الذي يدرس يكون نفسه موضوع الدراسة والذات العارفة يمكن أن تكون موضوع المعرفة.

-العلوم الإنسانية نشأت في حضن الفلسفة ولا تزال تستمد منها التأمل والنقد والتحليل والتأويل. مما يجعلها علوم فهم وليس علوم تفسير. كما أن هذا الاستئناس بالفلسفة صعب من تفردها وتحقيق علميتها ، في تصور ميشال فوكو.

## المحاضرة (02): مفهوم الابستيمولوجيا والمفاهيم المشابهة

**تمهيد :**

تتعدد الجهود العلمية التي اهتمت بالابستمولوجيا ، كنزعة علمية مهتمة بدراسة العلوم ونقد المعرفة العلمية ، وتتبع أهم التطورات والتحولات التي تحدث على البنى العلمية والمعرفية ، سواء في أبعادها الدلالية والاشتقاقية اللغوية ، أو في تراكميات حصيلتها المعرفية ، كحقل معرفي متعدد المناهل الفكرية والفلسفية ، وتعدد المجالات البحثية والتخصصات العلمية ، وتعدد المناهج والأساليب البحثية .

وهذا التعدد أنتج تنوعا وتعددا ، ليس فقط في الاشتقاقات اللغوية والدلالات العلمية (تطوير بنية مفاهيمية )، ولكن أحدث ثورة في نمو وتطور المعرفة العلمية واتجاهاتها التنظيرية .

**1-مفهوم الابستمولوجيا :**

وتلتقي الجهود العلمية باعتبار الابستمولوجيا ، علم العلوم ، أو فلسفة العلوم ، أو نقد للمعرفة العلمية أو نظرية المعرفة العلمية. لكن يبقى مفهوم علم المعرفة هو الأقرب والأكثر دلالة.

**1-1-الابستمولوجيا في الاتجاهين الانجلوساكسوني والفرنكفوني:**

إذا كانت الابستمولوجيا ، مفهوم أنتجته الكوسمولوجيا الغربية والعقل الغربي ، فإن العقل الغربي نفسه يتباين في تحديد دلالة مفهوم الإبستمولوجيا ، ويختلف العلماء والفلاسفة والمفكرون ، وكبار الابستمولوجيين ، أنفسهم أحيانا حول مدلول وموضوعات الابستمولوجيا .

-**الفلاسفة الفرنسيون** ، يبرزون الجانب الفلسفي للمعرفة ، ويتصورون أن موضوع الابستمولوجيا هو نقد المعرفة العلمية ؛ من تحليل وتمحيص للمناهج العلمية ، وللتصورات والمصادر الأساسية التي ينطلق منها العلماء إلى قوانينهم ونظرياتهم ، وتصنيف العلوم واختلاف بعضها عن بعض ؛ في طبيعة البحث فيها وطبيعة قضاياها ، وكيف تتطور هذه المناهج وتلك المصادر والدوافع لهذا التطور.

بينما وفي المقابل يتجه **الفلاسفة والمفكرون البريطانيون** ، إلى إبراز النزعة التجريبية في المعرفة، وتعريض المعرفة نفسها للدراسة والمساءلة المعرفية ؛ ويحددون للأبستمولوجيا مواضيع مختلفة ، منها مناقشة

موقف الشك المطلق في المعرفة ، أو إمكان حدوث المعرفة الموضوعية من عدمها ومصادر المعرفة وحدودها ، وطبيعة المعرفة التجريبية ، وإمكان وجود معرفة قبلية غير تجريبية ، وموضوع اليقين والاحتمال في المعرفة العلمية.[2]

وسنبرز فيما يلي بعض التعاريف ، في تنوعها لتوضيح الغموض الذي يكتنف المفهوم ، بسبب تشعب ارتباطاته وتقاطعاته ، مع فلسفة العلم والمعرفة العلمية ، دون التسليم بوجود تعريف شامل ودقيق.

**2-تعريف الإ]ستمولوجيا :**

**2-1-الابستمولوجيا لغة :**

تتشكل كلمة ابستمولوجيا من كلمتين يونانيتين ، إبستيمي Epistime وتعني المعرفة ، ولوغوس باليونانية أو لوجي Logie بالفرنسية والانجليزية ، وتعني علم أو دراسة أو معرفة . فتصبح الكلمتين بتركيبهما تدلان ، على علم المعرفة ، أو دراسة العلوم ، أو نقد المعرفة ، أو دراسة نقدية للعلوم.

للإشارة ، تتباين المراجع في استخلاص الاشتقاقات الدلالية لمفهوم الابستمولوجيا ؛ فهناك من يطلق عليها ، المعرفيات ، أو فلسفة العلم ، وآخرون يطلقون عليها نظرية المعرفة ، ويفضل البعض نعتها بنقد المعرفة العلمية...إلخ.

لكن يبقى "علم المعرفة" ، أقرب للإحاطة بأبعاد ودلالات المفهوم ، سواء في اشتقاقه اللغوي أو الدلالي.

**2-2-الابستمولوجيا إصطلاحا والمفاهيم المشابهة:**

**يرى لالاند** أن الابستمولوجيا ، تعني فلسفة العلوم ، وهي الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية ؛ الدراسة الهادفة إلى بيان أصلها (المنطقي لا النفسي) وقيمتها الموضوعية.

وبالتالي فحسب **لالاند** ، وبمعنى أكثر دقة فالإبستمولوجيا ، ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم ، لأن هذه الدراسة هي موضوع للميتودولوجيا (علم المنهجية) والتي هي جزء من المنطق . كما أنها ليست أيضا تركيبا أو توقعا حدسيا للقوانين العلمية (على الطريقة الوضعية أو الفلسفة التجريبية ) .

وينبغي أن نميز الابستمولوجيا عن نظرية المعرفة ، بالرغم من أنها تمهيد لها ، وعمل مساعد لا غنى عنه من حيث ، أن الابستمولوجيا تدرس المعرفة بتفصيل وبكيفية بعدية ، في تنوع العلوم والموضوعات لا في وحدة الفكر " .[3]

ويعرف **بول موي paul moy** الإبستمولوجيا ، تعني هو النقد العلمي للمعرفة العلمية .[4] معتبرا أن **مهمة الابستمولوجيا** هي دراسة المنهج العام للعلوم ، والعمليات التي يطبقها العقل البشري على العلم.

يعرف **باشلار** الابستمولوجيا : تعني المعرفة العلمية في حالتها الديناميكية والتطورية لمعرفة القيم المتحكمة في العلم في كل مرحلة من تاريخ تطوره ، فلا يوجد عقل ثابت ولا معرفة ثابتة ، فهي أي الابستمولوجيا المعرفة التقريبية التي تتأسس على التعدد المنهجي ، والتي يتكامل فيها العقل بالتجربة .

فباشلار يراعي تاريخ العلم والتحليل النفسي للمعرفة العلمية ويتجاوز الابستمولوجيا الكلاسيكية ذات الطابع الحتمي القطعي ، ويريد التأسيس لابستمولوجيا عقلانية تطبيقية.

ويعرف **الجابري** الابستمولوجيا بأنها "الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ، ولفروضها ونتائجها بقصد تحديد أصلها المنطقي ، وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية ".[5]

ويبدو من خلال التعاريف السابقة ، سيما تعريف لالاند ، وبول موي ، الخلط بين الابستمولوجيا باعتبارها علم نقدي للمعرفة والميتودولوجيا باعتبارها ، منهج لحصول المعرفة العلمية . رغم أنه يمكن القول أن المنهج يسبق المعرفة العلمية عكس الابستمولوجيا . فالمنهجية أو الميتودولوجيا معرفة قبلية بينما الابستمولوجيا معرفة بعدية.

ويعلق الجابري على مفهوم لالاند للابستمولوجيا ، بأنه يميز بين الابستمولوجيا من جهة و الميتودولوجيا (علم المنهجية ) وفلسفة العلوم بمعناها العام ، من جهة أخرى . وواضح أنه لم يتطرق لذكر نظرية المعرفة غنوسيولوجي ، لأنها تختلف في نظره وفي نظر الفرنسيين عامة ، عن الابستمولوجيا بمعناها الدقيق الخاص ".[6]

ويطرح عالم النفس والفيلسوف السويسري **جون بياجيه jean piaget** ، مفهوم الابستمولوجيا التكوينية مؤكدا أن الابستمولوجيا المعاصرة ، تنظر إلى المعرفة العلمية ، نظرة تكاملية ، فهي لم تعد تفصل بين الذات العارفة والموضوع المعروف .

ويحدد بياجيه ، مجموعة **من المهام** تسند لما يسميه الابستمولوجيا التكوينية : فهي تدرس نمو المعارف العلمية ، بالاعتماد على تاريخها ، ونشاطها الحالي في علم معين من جهة ؛ ومن جهة أخرى بالاعتماد على مظهرها المنطقي وعلى تشكيلها النفسي التكويني.[7]

وتعرف الابستمولوجيا ، اصطلاحا بأنها تقييم للحصيلة العلمية والموضوعية والمنهجية للعلوم ونتائجها وإظهار تأرجحها بين الذاتية والموضوعية ، وتقييم مناهجها مما يجعل منها وعيا نقديا للعلم الموضوعي.

ويعرفها الباحث المغربي سالم يفوت الابستمولوجيا باعتبارها "نظرية الانتاج النوعي للتصورات العلمية إنها النظرية التي تهتم بتشكيل نظريات كل علم على حدّة".[8]

وتوجد مجموعة من التعاريف المرجعية ، التي أوضحت مفهوم الابستمولوجيا ، لكن تبقى على حد تعبير **"روبير بلونشيه"** في كتابه "الابستمولوجيا" (1977) لم تكتسب بعد صيغتها النهائية ، لأنها مازالت مشتتة بين جذورها الفلسفية ، وبين علاقتها المباشرة الحالية مع العلم من جانب آخر.

ويخلص **بلونشي** للقول "اذا نظرنا للابستمولوجيا في علاقتها بالعلم ، فإننا نجد **أنها عبارة عن نشاط من مستوى أعلى ، موضوعه هو العلم نفسه . فالابستمولوجيا عبارة عن تفكير عن العلم**. مؤكدا أنه لا ينبغي أن نقلل من قيمة الجهود ، التي يبذلها الباحثون في ميدان الابستمولوجيا ، من أجل الانتقال بالحوار الابستمولوجي ، من المستوى الفلسفي إلى المستوى العلمي الموضوعي ، وبمقدار نجاحهم في هذه المهمة فإنهم يكونون قد عملوا حقيقة على تقدم المعرفة الانسانية .

## 3-كيف تكونت الابستمولوجيا كعلم للعلوم / أركيولوجيا الإستمولوجيا

يصعب التحقيب للإبستمولوجيا والنحت في أصول وسياقات تشكل المفهوم وقيمه المتجددة باستمرار

ولقد حاول الكثير من المعتمين بالابستمولوجيا ، على غرار روبرت بلونشي ، الذي يجيبنا على هذا السؤال في كتابه "الابستمولوجيا 1977. وذلك بالنحت في تطورات فلسفة العلم ، والتعمق في تفاصيل ميلاد العقل النقدي بتكوينه الدقيق. ويرى "بلونشيه" أنه في الوقت الذي بدأ فيه المفكرون مع مطلع القرن الماضي يشككون في بعض المبادئ العلمية لما سيطلق عليه بعد ذلك بقليل إسم "العلم الكلاسيكي" ، ظهرت وتطورت تلك الحركة العلمية الضخمة التي أخذت إسم "الحركة النقدية للعلوم".[9]

هذا النقد الذي تصدى للطابع التأكيدي ، القطعي في العلم ، والذي قاده مفكرون يتميزون بتكوينهم العلمي الدقيق ، قد انصبت أساسا على طبيعة القوانين العلمية ، ونظريات الفيزياء. وفي نفس الوقت الذي أدت أزمة الأسس ، التي فجرتها نقائض نظرية المجاميع ، إلى إرغام علماء الرياضيات على إعادة النظر في مبادئ علمهم.

ولقد كان هذا **الالتقاء بين التطبيق العلمي ، والتفكير الفلسفي** ، هذا الالتقاء الذي تتطلبه ، حالة العلم نفسها ، والذي أصبح اليوم نادرا نظرا لتطور العلم ، وما نتج عنه من تخصص العلماء الضيق في موضوعات بعينها ، هو الذي أدى إلى تكوين الابستومولوجيا كعلم أصيل مستقل. [10]

وهذا الطرح أكده أيضا الكثير من الفلاسفة والعلماء المفكرين ، وتتداوله الكثير من الأطروحات الأكاديمية. لكن يجب التأكيد على صعوبة التحقيب الابستمولوجي للإبستمولوجيا . فالعقل العلمي لم يتوقف عن التفكير والدراسة والتحليل لخلاصات العلم ومخرجاته منذ قرون ، أو على الأقل منذ التأسيس للتفكير العلمي ، وما أعقب ذلك من ثورات علمية ، خلخلت مختلف اليقينيات السابقة.

فهناك بعض الأطروحات ترى أن التأسيس الابستمولوجي ينطلق من الفلسفات العامة ، كالفلسفة اليونانية ، وما تلاها فيما بعد من فلسفة دينية ، بقطبيها المسيحي ، والإسلامي .

بينما ترى أطروحات أخرى أن التأسيس الدقيق للإبستمولوجيا كعلم المعرفة ، يمكن التحقيب له بتكون العقل العلمي ، الذي سيشتغل فيما بعد على العلم ذاته وعلى المعرفة ذاتها بغرض تطويرها ونقل المعرفة من حالة راهنة إلى حالة أكثر تقدما في المستقبل .

وبالتالي فالإبستمولوجيا من هذا المنظور ، علم جديد نسبيا ، وستساهم الإبستمولوجيا في استمرار الثورات العلمية ، وتحقيق تحولات نوعية ، تجعل المجتمعات البشرية تعيش أزمنة التسارع التكنواتصالي والسوسيوثقافي .

أما بخصوص ظهور المفهوم بأبعاده الدلالية المتعارف عليها اليوم ، واستخدامه في العقل العلمي الأنجلوساكسوني ، فتعود إلى المفكر البريطاني الأسكتلندي ، فريدريك فريرر" ، (1808-1864) الذي استخدم المفهوم لأول مرة . وكان أستاذا جامعيا في فلسفة الأخلاق ، ومن أهم كتبه : مقدمة في فلسفة الوعي 1839. وكتاب "أزمة التأمل الحديث" 1841 .

**4- تصنيفات الإبستمولوجيا :**

صنف المفكرون والأكاديميون الإبستمولوجيا إلى عدة إبستمولوجيات أو معرفيات كبرى وفرعية كالتصنيف الذي يقسم الإبستمولوجيا حسب مدارسها أو اتجاهاتها الكبرى على غرار التصنيف الذي أورده محمد الفرحان : الابستمولوجيات الفلسفية ، الابستمولوجيات الحديثة ، والإبستمولوجيات المعاصرة بنزعتيها الوضعية المنطقية والبراجماتية ، وهناك من يقسمها إلى الابستمولوجيا الوضعية التجريبية والحسية ، الابستمولوجيات العقلية وما تفرع منها من إبستمولوجيات نقدية وتفاعلات رمزية وتأويلية .

بينما يصنفها آخرون إلى فروع معرفية حسب الحقول المعرفية التي تدرسها ، كإبستمولوجيا علم الاجتماع إبستمولوجيا علم النفس ، إبستمولوجيا التاريخ ، إبستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال...إلخ.

يجدر التذكير ، أننا سنتعمق في دراسة هذه التصنيفات في المحاضرات الموالية ، المتعلقة بالإتجاهات الإبستمولوجيا الكبرى ، باعتبارها الإطار العام للمعرفة العلمية عامة وعلوم الإعلام والاتصال خاصة.

## المحاضرة (03): أهمية الابستيمولوجيا في علوم الإعلام والاتصال

### أولا: أهمية الابستمولوجيا مهامها وأهدافها :

### 1-أهمية الإبستمولوجيا

تنبع أهمية الابستمولوجيا من أهمية العلم ذاته ، وأهمية المعرفة العلمية ذاتها . فالتطورات المذهلة التي تحققها المجتمعات البشرية هي نتيجة لهذه الثورات العلمية والطفرات المعرفية.

فالابستمولوجيا تعتبر بمثابة الماكنة النقدية للعلوم والمعارف ، وبالتالي منتجة للأفكار الجديدة ودافعة بالعقل للانغماس أكثر في معترك الابداع والإبتكار باستمرار.

فالابستمولوجيا كعلم للمعرفة ، وما يقتضيه من تدبر مسبق وتفكر قبلي وبعدي مستمرين في المعرفة العلمية ، تجعل من العقل يناقش ويجادل اليقينيات ، ويقوض ويعيد بناء الأطر النظرية المفسرة للظواهر المختلفة ، الاجتماعية والطبيعية.

### 2- مهام الابستمولوجيا :

تتعدد وتتنوع مهام الابستمولوجيا ، وتكبر وتتعاظم هذه المهام خاصة في المجتمعات المفتوحة ، التي تتمتع ببيئة حرة مشجعة على ممارسة الحريات العقلية ، كحريات التأمل والتدبر والتفكير والنقد ، وحريات المبادرة والتدريب والتجريب ، عكس البيئات المغلقة التي تحاصر العقل بسياجات من الممنوعات والدوغمائيات الدينية والسياسية .

ولقد غاستون باشلار مهام الابستمولوجيا في :

-الدراسة العلمية النقدية لتاريخ العلوم ، والبحث عن أثر المعارف العلمية في بنية العقل وتطوره .

-استعراض مسارات تشكل المعرفة العلمية والتحولات الكبرى التي لازمت تشكلها باستمرار .

-إبراز القيم الابستمولوجية الحديثة في العلم الحديث والمعاصر /المتجددة للعلم.

-تحليل التطور التاريخي للمفاهيم العلمية ، ليس كتراكم خطي بل كسلسلة من القطائع الإبستمولوجية. وبالتالي إبراز ومواكبة التجدد المعرفي المستمر في القيم العلمية.

-البحث عن أثر هذه المعارف العلمية في بنية العقل وعبر مراحل تطوره . بابراز لحظات التحول من المعرفة العلمية القديمة للمعرفة العلمية الجديدة.

-التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية ، وتشخيص أهم العقبات المعرفية.

-تبيان كيفية تشكل العقلانية التطبيقية أو المادية التقنية ؛ فـالعقل العلمي ينمو باستمرار، من خلال الحوار التكاملي بين العقل والتجربة في بناء المعرفة العلمية.

ويرى **بول موي** ، من جهته أن مهمة الابستمولوجيا :

-دراسة المنهج العام للعلوم ، والعمليات التي يطبقها العقل البشري على العلم .

-نقد المعرفة العلمية ، والنقد العلمي ما هو إلا مرحلة من مراحل التحليل الواعي للمعرفة العلمية .

-استعراض تاريخ العلوم وهي مرحلة لاحقة وصعبة . حيث يقتضي على الباحث فيها القيام بثلاث أدوار دوره كمؤرخ ، دوره كفيلسوف ، دوره كعالم.

ليتمكن من التعرف على الكيفية التي يعد بها العقل مناهجه خلال مواجهته للواقع ، وخلال محاولة فهم الصراع بين العقل والواقع. (الموقع الالكتروني مقال.كوم)

ويطرح عالم النفس والفيلسوف السويسري جون بياجيه jean piaget ، مفهوم الابستمولوجيا التكوينية مؤكدا **أن الابستمولوجيا المعاصرة ، تنظر إلى المعرفة العلمية ، نظرة تكاملية** ، فهي لم تعد تفصل بين الذات العارفة والموضوع المعروف.

ويحدد بياجيه ، مجموعة من المهام تسند لما يسمية الابستمولوجيا التكوينية :

فهي تدرس ، **نمو المعارف العلمية بالاعتماد على تاريخها ، ونشاطها الحالي في علم معين من جهة .** ومن جهة أخرى بالاعتماد على مظهرها المنطقي وعلى تشكيلها النفسي التكويني. (أديب إدريس الجامعي ، مفهوم الابستمولوجيا ، موقع مقال.كوم. 2022/10/05)

وتأسيسا على هذا التصور ، يقدم بياجيه تصنيفا للعلوم ، يراعي دينامية المعرفة العلمية والعلاقات المتبادلة بين مختلف العلوم . وينبني تصنيفه ، على أساس التمييز بين الميادين الأربع لكل علم.

1-الميدان المادي : الموضوع الذي يدرسه كل علم

2-الميدان المفهومي : مجموعة المفاهيم في كل علم

3-الابساتمولوجيا الداخلية : تهتم بالبحث في الأسس والمبادئ والنتائج التي يقوم عليها كل علم

4-الابستمولوجيا العامة : تهتم بالبحث في الأسس المشتركة بين جميع العلوم.

**ثانيا : أهمية إبستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال وأهداف دراستها**

تبرز قيمة وأهمية إبستمولوجيا علوم الإعلام والإتصال ، باعتبار هذا الحقل العلمي حديث نسبيا ، فهو بحاجة ، للإبستمولوجيا لمساءلة أطره النظرية ، ومناهجه ومقارباته المعرفية ، وكذلك رصيده المفاهيمي بغرض المأسسة ، والتجديد والتطوير ، لمواكبة روح العلم ومستجداته في مختلف المجالات ، سيما وأن حقل علوم الإعلام والإتصال ، يقع في قلب التحولات الثورية في الإتصال ، ورافد أساسي في ظل التسارع التكنواتصالي .

ويمكن أن نبرز أهمية إبستمولوجيا علوم الإعلام والإتصال فيما يلي:

-تعلم التفكير المنهج والتفكير النقدي كمحرك للعقل ومولد للأفكار النقدية الجديدة والمبتكرة

-الإطلاع على التراث النظري والمخرجات المعرفية للمدارس الفكرية والفلسفية الكبرى وروادها

-تحديد هوية حقل علوم الإعلام والإتصال واستكشاف علميته ، أي تأسيسه العلمي.

-المراجعة المستمرة للأفكار والأطروحات أو السرديات الكبرى والنقد البناء والمولد للمعرفة العلمية الجديدة .

-توفير أطر مرجعية نظرية وتطبيقية لتحليل ونقد النظريات والمناهج العلمية ، من حيث مصدرها وتطوراتها.

-معرفة أن المعرفة لا نهائية ولا حدود لها ، وأن اليقين هو اللايقين وأن المطلق هو اللامطلق

-المراجعة والمساءلة النقدية المستمرة للأطر النظرية القائمة من حيث خلفياتها وراهنيتها ، والمعرفة العلمية القائمة بغرض تطويرها.

-معرفة تاريخ العلوم والتحولات الكبرى للمعرفة العلمية والطفرات التي حققتها ، وهو ما يسمية توماس كوهين ، الثورات العلمية. في كتابه "بنية الثورات العلمية 1964" .

-فهم مراحل تشكل المعرفة العلمية الإعلامية والاتصالية ، تطوراتها والقطائع الإبستمولوجية التي عرفها

-الدراسة العلمية لإمكانيات التكامل المعرفي بين مختلف العلوم ، سواء الانسانية والاجتماعية ، أو العلوم الرياضية والتقنية والتجريبية ، وأفق التحاقل والتجاسر العلميين والمنهجيين وفقا للمنطق القائل أن العلوم رحم بينها.

-الإنفتاح على التخصصات والحقول العلمية الأخرى ، وإدراك التعددية التي تطبع حقل علوم الإعلام والاتصال كحقل هجين تقنيا وعابر للتخصصات معرفيا. فالإبستمولوجيا تنظم هذا التعدد وتبرز قيمة إسهام كل تخصص في إطار تكاملي.

-معرفة العقبات الابستمولوجية وسياقاتها ، التي عطلت العقل وأخرت تشكل المعرفة العلمية ؛ مع التفكير في تفكيك وتجاوز هذه العقبات. خاصة تحرير العقل العلمي من البنى غير العلمية.

-معرفة مكامن أزمة العقل ، وعوامل تعطله سيما في السياق العربي عامة والجزائري خاصة.

-تشخيص البني اللاعلمية في العلم ، والبنى اللاعقلية في العقل ، وتحرير التفكير العلمي منها لنقل العلم من حالة التيه ووهم المعرفة ، إلى الحالة المعرفية.

-التكيف مع الراهن المعرفي ، والمواكبة المستمرة لروح العلم والحركية المستمرة لمخرجات العقل العلمي وتسارع التفكير ، سيما في الراهن التكنواتصالي ، لتثمين مخرجات العقل والتوليد المستمر للمعرفة العلمية ، ورفض وجود حقائق نهائية.

-مواكبة الثورات الإتصالية ، وخاصة مواكبة الثورة الرقمية ، كإطار لتحليل الظواهر الجديدة في ضوئها.

**خلاصة :**

يمكن القول أن إدراج مادة الإبستمولوجيا ، ضمن التكوين الأكاديمي في علوم الإعلام والإتصال مهم جدا لأنها تبني الوعي النقدي بهذا الحقل ، وتعتبر مرحلة التكامل المعرفي بين علوم الإعلام والإتصال والإبستمولوجيا ، مرحلة تحول مهمة في تاريخ المعرفة الإعلامية والإتصالية. سواء في التأسيس أو خلق الديناميكية المطلوبة لنمو وتطور أنساقه المعرفية. سواء توليد المفاهيم الجديدة ، أو تطوير وإنتاج نظريات أكثر تقدما أو تكييف وتطويع مناهج وأدوات البحث العلمية من الحقول العلمية الأخرى ، مع روح التحول الثوري في حقل علوم الإعلام والإتصال.